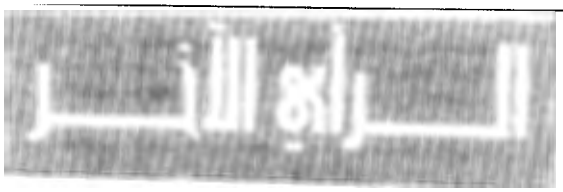

يكتبه: احمد الصراف

طيورنا المهاجرة.. الا تنتهي «مواسمها»؟!

■ سيل من «الحواجز» بين المسافر وحقائبه

■ بنوك عالمية «للمشيمة».. ونحن مختلفون على فوائد البنوك!

■ نعلّم الطفل النطق والحركة ثم نردعه عن الكلام والتجوال!

هجرة الطعام و«الشراب»

تقوم العديد من انواع الطيور بهجرات مكثفة من منطقة الى اخرى، واحيانا من قارة الى اخرى، وتستغرق رحلة الهجرة هذه اياما طويلة تضطر ان تتوقف اثناءها في العديد من البلاد التي تقع في طريقها. وكثيرا ما كنا نرى في الماضي القريب العديد من هذه الانواع النادرة تظهر فجأة في المزارع وبين البيوت، ونرى اسرابها الكثيفة في سماء الكويت، وتختفي بعد مدة، هذا اذا لم يصرعها «شوزن» اعمى.

ولم نكن نعرف وقتها سبب ظهورها واختفائها المفاجئ.. وعرفنا بعدها ان وراء هجرة هذه الطيور اسبابا كثيرة، منها سعيها في البحث وراء ما تفتقده في مواطنها وفي موسم معين من كل عام من طعام او «شراب»، او دفء، او امان، وربما من حنان، والله اعلم!

وفي حياة الانسان - وما يهمنا هنا هو الانسان الكويتي بالذات - هناك هجرات جماعية يقوم بها الكثيرون في مواسم معينة، وهذه الهجرات لا تتم بحثا عن الكلأ والماء كما جرت العادة سابقا!! وقد تكاثر عدد مواسم الهجرة اخيرا بشكل غريب، وتكاثرت اسبابها ايضا، وربما لا تختلف عن الاسباب الكامنة وراء هجرة الطيور، والجميع من شعب وحكومة وبرلمان يعلمون الاسباب جيدا، ولكن الكل «مطنّش» وكأن ما يحدث لا علاقة لنا به، او كأنه يحدث لمن لا نعرف او في بيت من لا نحب.

ان من سمات الشعوب الحية قدرتها على مواجهة مشاكلها، ومناقشتها بعقلية متفتحة نيرة، اما دفن الرؤوس في الرمال والادعاء الاجوف باننا في احسن حال فسوف لن يجلب لنا الا الكوارث التي ستعصف بكل ما اعتقدنا انه بالحفظ والصون.

نريد نائبا شجاعا يقف ويرفع الصوت عاليا متسائلا الى اين نحن ذاهبون، والى متى نستمر بالتصرف بكل تلك اللامبالاة المصحوبة بالتناقض الواضح، ولماذا يذهب كل هذا العدد الهائل من شيب وشبان الى خارج الكويت عند اول فرصة او حتى دون فرصة؟

ان ما يحدث في الكويت هو في حكم الجريمة ضد هذا الشعب، ووراء كل جريمة شخص مستفيد.. فابحثوا عن المستفيد من بقاء هذا الوضع على ما هو عليه.

سحابات وجيوب الحقيبة

دخلت مطار هيثرو المبارك واعلمتني الشاشة بأن عليّ ان اذهب الى حاجز معين لتخليص امور سفري مع الخطوط الكويتية، استقبلني شخص آسيوي بشوش وطلب جوازي وتذكرة السفر، بحلق فيهما وسألني العديد من الاسئلة التي تتعلق بالامن وعما اذا كنت احمل ضمن امتعتي اية اغراض خاصة بشخص آخر!!

حولني لشخص آسيوي ثان بادر بحمل امتعتي من العربة ووضعها على جهاز الاشعة «الكويتية» انتهت مهمته عند هذا الحد، مشيت مع امتعتي وانا اراقبها تخترق

ستائر الجلد، وشاهدت شخصا آسيويا آخر يحلق في شاشة امامه تكشف له «مصارين» حقائبي.. وصلت الامتعة الى شخص آسيوي رابع قام، وبجهد قليل، بتعديل وضع الحقيبة بحيث يقوم جهاز «عجيب» بوضع شريط من البلاستيك حولها بشكل محكم، وذلك لمنع وضع اية ممنوعات فيها.

وكان من الممكن تقبل هذا الحرص الزائد والفريد من نوعه بين كافة - اكرر كافة - شركات الطيران في العالم الفهمان وحتى نصف الفهمان، لولا ان الشخص الآسيوي الرابع اصر على ان يقوم بعملية التربيط نفسها لحقيبتي الاخرى التي تحتوي على عشرات الجيوب والسحابات الجانبية التي من السهل ان يقوم الواحد بدس اي شيء فيها بعد نقطة «التربيط» هذه.

وعندما لفتُّ نظر المسؤول عن هذا التناقض الواضح ضحك من الامر وقال ان الامر لا يعدو كونه اجراء احترازيا بالغ الحذر، لا يستفيد منه غير العاملين على القيام به.

لم تنته القصة، فقد تقدم شخص خامس، يحمل ملامح آسيوية ايضا وحمل حقائبي من جهاز «التربيط المضحك» الى عربة النقل التي كانت معي، ومشى معي شخص سادس حتى حاجز وزن الامتعة، وسلمني للموظفة.

ادرت وجهي في القاعة. فاكتشفت وجود شخص سابع يقف على ميزان لشركة طيران اخرى لكنه يلبس نفس ملابس موظفي امن الكويتية وهو يحملق في الجميع كالنسر من فوق شجرة من الستنلس ستيل.

سرحت بأفكاري وتذكرت كيف اننا وببعض الاخلاص والجهد القليل نستطيع ان نقلل من مشكلة البطالة المتفشية في الوطن، وكم هو سهل امر تقليل بعض خسائرنا التاريخية التي تصر شركة الخطوط الكويتية على تحملها منذ اكثر من ٣٥ سنة!!

العودة الى الحزن

استقبلني حاجز الجوازات عند وصولي الى المطار، وكان يقف وراءه ضابط كبير برتبة مقدم وآخر برتبة ملازم وقام الاثنان بتدقيق جوازات سفر الكويتيين، واسفت لضياع وقت ضباط بهذه الرتبة العالية في امور ادارية تافهة كمسألة التدقيق والتمحيص في جواز سفر لشخص عائد الى وطنه، حيث ان جميع دول العالم (عالم ما) دون استثناء لا تدقق على جهاز الكمبيوتر لمعرفة من يجوز له ان يدخل وطنه ومن يجب ان يبقى في المطار، الى ان يتحول الى هيكل عظمي وتنقل رفاته الى المقبرة بدلا من ذهابه لمنزله في الليلة نفسها. والامر الاكثر سخافة هو منظر ذلك العسكري الذي ينتظرك بعد الحاجز للتأكد من انه قد تم ختم جواز سفرك بختم الدخول فتراه يقلب صفحات الجواز تارة من اليمين وتارة من اليسار، واخرى من الوسط ويبدأ من الاول وينتهي الى الاخر.. ويحملق في اختام الخروج والدخول ويقرأ التواريخ وينظر الى المسافر شذرا وكأنه يلومه على تعدد الاختام والتأشيرات في جواز سفره..

ويطول الطابور من خلفه ويمل الشرطي ويسلمك جواز السفر بعد ان يستفسر منك ان كنت متأكدا ان ختم الدخول المبارك قد وضع في مكان ما على جواز السفر!

في الخارج، وفي مكان معين كان صديقي ينتظرني، وكانت على سيمائه ملامح ابتسامة ولما سألته عن مغزاها قال انه كان يقف بانتظاري يراقب ما كتبت عنه في مقال سابق عن الحيرة التي تنتاب الكثير من القادمين، وخاصة الذين يأتون الى الكويت لاول مرة ويتوقعون ان يكون شخص ما بانتظارهم فتجدهم حائرين الى اي اتجاه يجب ان يذهبوا، وخاصة اذا خرج من البوابة الوسطى ورأى البعض يتجه الى اليسار وآخرين الى اليمين!!

كان مسرورا لرؤيتي، وما ان جلسنا في السيارة حتى بادرته بالسؤال عن احوال الاهل والبلاد فقال: لا شيء غير عادي او يستحق الذكر.

وصلت الى البيت ووصلت يدي للصحف التي صدرت بغيابي ولم اتمكن من مطالعتها طوال الفترة السابقة، وهالني كم الاحداث التي جرت في فترة غيابي القصيرة، استغربت كثيرا من جواب صديقي وهو يعلمني بان كل شيء على ما يرام، واكتشفت ان من يعش الاحداث ويطلع عليها كل يوم، يكتسب قدرة على امتصاص الصدمات وتقبّل اخبار الكوارث اولا بأول ونسيانها في نهاية

اليوم.. وتطحن دوامة عمل اليوم التالي ما تبقى من ذكريات اليوم السابق، ولا ينتهي الاسبوع الا وقد نسي كل احداث الاسبوع السابق له، اما من يكن مغرما مثلي بالاطلاع على كافة الصحف التي صدرت اثناء فترة الغياب عن البلاد ونبش الصفحات «وفلفلتها» وقراءة اخبار الوفيات، والكوارث والمصائب، والاصرار على انهاء ذلك كله في ليلة واحدة قد تطول الى ساعات الصباح الاولى.. فانه يعتقد بان البلاد قد مرت بفترة عصيبة واحداث مؤلمة عديدة.

بنوك المشيمة اللاربوية

يموت في الولايات المتحدة كل عام اكثر من خمسين الف شخص بسبب امراض متعلقة بالدم، ويموت نصفهم بسبب رفض اجسامهم لعمليات نقل الدم التي تجرى لهم، او لعدم تقبلهم لعملية زراعة نخاع العظام BONE MARROW الاجنبية في اجسادهم. وقد اكتشف العلماء الاميركيون في منتصف الثمانينات ان حبل المشيمة المكون من العديد من الاوعية الدموية التي تنقل الغذاء من الأم الى الجنين والذي يربط الاخير برحم الام، اكتشفوا انه يحتوي على مخزون هائل من الكريات الدموية الحمراء والبيضاء والصفائح الحديدية، وهذه تعتبر مخزونا جيدا يمكن الاستعانة به اذا ما تم اكتشاف ان الطفل مصاب بمرض متعلق بالدم.

لكن المشكلة تكمن في كيفية الاحتفاظ بالمشيمة هذه صالحة لحين ظهور الحاجة لها، ومن هنا جاءت فكرة انشاء بنوك لتخزين المشيمة وعدم القائها جانبا كما كان يحصل منذ ان عرف الانسان التوالد الطبيعي.

وقد تعددت هذه البنوك وانتشرت في الولايات المتحدة والقليل من الدول الاوروبية الغنية، حيث يتم تخزين هذه المشيمات واستعمالها اذا ما تعرض الطفل مستقبلا لأي مرض في الدم واحتاج الى عملية نقل مواد المشيمة له لانقاذ حياته من الموت. ومن الممكن الاحتفاظ بهذه المشيمة لابن هذا الطفل مستقبلا والاستفادة منها.

ترى ماذا يحدث على الطرف الاخر؟

شيخ الجامع الازهر الراحل يصدر فتوى يحرم فيها فوائد البنوك، يرد عليه مفتي الديار المصرية، الذي اصبح شيخا للازهر بعد وفاة سلفه، بالقول ان فوائد البنوك حلال زلال!!

لقد وصل الاخرون الى مرحلة انشاء بنوك المشيمة بعد البنوك التجارية والمتخصصة والدم والعيون والاعضاء، ونحن لانزال نختلف على فائدة وديعة يحرم البنك الاسلامي دفعها مباشرة لصاحبها ولكنه على اتم الاستعداد للتغاضي عن ذلك اذا ما كان المبلغ كبيرا وبلغ الملايين.. فالفتوى ستكون جاهزة تحت الابط لايجاد مخرج وعدم خسارة الوديعة.. وقد حدث هذا الامر كثيرا، ويا امة ضحكت من تناقضاتها وجهلها الامم!

تناقضات

ميتران والمجوهرات

■ **صديق الكويت الراحل الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميتيران، ذلك الانسان الذي حكم فرنسا لاربعة عشر عاما وبالرغم من ذلك رفضت بلدية مدينته الصغيرة طلبه بان يدفن في حديقتها العامة، واستكثروا عليه امتارامربعة قليلة تكفي رفاته. تاتينا الاخبار عن ارملته هذه المرة التي باعت المجوهرات التي تلقتها خلال الـ ١٥ سنة الاخيرة، باعتها في مزاد علني در ريعا يقدر بأكثر**

من مليون ونصف المليون فرنك فرنسي، تبرعت بها كلها لجمعية الدفاع عن حقوق الانسان، وكان «الاجدر» بها صرف المبلغ على مشروع بناء معبد للمذهب الذي تنتمي اليه!

فرشاة الأسنان

■ سلوم.. شخصية كلاسيكية بتناقضاتها، يمثل شريحة كبيرة في المجتمع، لا يتردد، مثلا، في دفع ثلاثين دينارا ثمنا لتلك الزجاجة، ويصر على انهاء محتوياتها في ليلة او ليلتين على الاكثر.

وتدخل حمام منزله فتجد ان فرشاة الاسنان الخاصة به من نوع غريب لم تخرج المصانع مثلها، فالشعيرات البلاستيكية فيها نائمة على الجوانب الاربعة وليس كبقية فرش الاسنان العادية.

تنظر خلفها فتكتشف ان تاريخ انتهاء صلاحية استعمالها قد تجاوز السنوات العشر، وتأخذ نظرة على انبوبة معجون الاسنان فتجد انها في الرمق الاخير، ولكن صاحبنا الذي لم يبخل على تلك بالثلاثين دينارا تجده قد حاول المستحيل مع هذه الانبوبة ليخرج منها اخر ما بها من معجون، وعندما عجزت اصابعه المرتعشة عن القيام بالمهمة المطلوبة، تفتق ذهنه عن فكرة جهنمية فذهب الى احد مساكن العزاب التي يقع الكثير منها على اهم واجمل شوارع الكويت، والتقط من امامها مفتاح علب السردين ذا الشكل الخاص وقام بادخال طرف انبوب معجون الاسنان في فتحة المفتاح الطويلة واداره حول المفتاح لكي يتمكن من عصر ما لم تسعفه قواه على فعله!!

المفكر الاسلامي

■ تجد صوره تملأ الصحف في صفحة الاجتماعيات، ويطلق على نفسه لقب «المفكر الاسلامي»، اضطر مؤخرا لدخول المستشفى، فطلب نشر صورته في الصحف معلنا تماثله للشفاء - لا أدري من ماذا - مع ذكر كامل موقعه في المستشفى من طابق وغرفة وجناح. ولا ادري اهذا من صفات وتواضع المفكرين الاسلاميين، ام هو من علامات المرشحين الانتخابيين؟!

تعليم الاطفال

■ من الظواهر الواضحة لدى البشر اهتمام الوالدين، هذا اذا ما تواجد الاب في البيت، بعملية تعليم الاطفال الصغار عملية النطق. وتستغرق عادة هذه العملية التي يصاحبها الكثير من الابتسامات والتشجيع، اشهرا، وما ان يبدأ الطفل بالنطق حتى تجد ان من علمه النطق وطلب منه ان يتكلم قد غير موقفه الان، واصبحت الاوامر تصدر له كطلقات الرصاص: اسكت يا ولد، اخرس، لا تتكلم.. دعينا يا بنت نسمع ما تقول والدتك، لا تقاطعي الاخرين، لا تغني، لا تتكلمي في الهاتف كثيرا!!

مجموعة من التعليمات كلها تدعوهما الى الصمت واغلاق الفم، وننسى اننا نحن الذين طلبنا منهما النطق اصلا! وهكذا ينفق الوالدان ثلاثة اشهر لتعليم الطفل كيف ينطق، وينفقان عشرين سنة اخرى من عمرهما في الطلب من الابن او الابنة السكوت!!

السير على الشوك

■ تمسك الام بيد وليدها الذي لم يتجاوز الاشهر الستة تحاول ان تعلمه كيف يمشي، ويعود الاب من عمله منهكا ولكنه لا يتردد في مشاركة زوجته ما تحاول عمله مع ابنه.. وينهمك الاثنان في تعليم هذا المسكين واستعجاله لكي يسير وينطلق في ارجاء البيت يكسر كل شيء امامه. ولكن ينفق الزوجان بقية العمر طالبين من هذا المسكين ان يهدأ ويجلس ويخفف الحركة ولا يسرع في الجري، ويتجنب السيارات.. ولا ادري لماذا علموه المشي اصلا!!